

القوة العسكرية المصرية لخفض التوترات الإقليمية



وجدت أن الطريق الأول لا يستقيم مع شخصيتها التاريخية غير العدوانية بالمرّة، والتي يواصل النظام المصري الحالي التمسك بها وتشبيك حلقاتها والعمل على تثبيتها في جميع المحطات والاختيارات والتحديات التي يمر بها. كما أن تجربة تركيا مثلا والتي قادتها للتدخل في بؤر مختلفة للصراعات لم تسفر عن تمرير أهدافها، ربما مرّت جانبا منها، لكنها قد تخلف وراءها مآزير مع شعوب سوريا والعراق وليبيا وأرمينيا واليونان، يمكن أن تلاحقها لعقود طويلة وتدفع الأجيال القادمة ثمنا باهظا، فالحروب وتناجها لا تسقط بالتقادم، ولا تزال بعض الدول الاستعمارية تطلب باعتذارات عن حقب سابقة وتلاحق بدفع تعويضات للشعوب التي استعمرتها، وثمة من تطوق أعناقهم بعض الأحداث المؤلمة حتى الآن.

لغزت مصر الطريق الأول وابتعدت عن الدفاع عن مصالحها بالحرب وحاولت تجنبها إلى أقصى مدى، لأنها لا تستقيم مع الرغبة الحالية لقيادتها في بناء دولة حديثة طامحة ومستقرة، فأي اشتباك عسكري يمكن أن يستمر وقتا ويستنزف ثروتها ويؤدي إلى تداعيات وخيمة ويعيد الدولة إلى المعارك وأجوائها التي أحاطت بها لنحو أربعة عقود.

لم يمنع اختيار طريق السلام مع إسرائيل قبل نحو 42 عاما والقبول به وفقا لحسابات استراتيجية مختلفة الجيش المصري من تطوير قدراته وجلب أنواع متقدمة من الأسلحة التكتيكية والطائرات والصواريخ والفرقاطات البحرية، تمهيدا للجمعة القاهرة القيام بها لمنع الأعداء على مصالحها وليس بغرض دخول معارك مع أحد. أفلقت مصر من محاولات متباعدة لإنهاكها اقتصاديا وتشتيت انتباهها أمنيًا في الحرب التي خاضتها ضد تنظيمات إرهابية، وتخطت عملية جزّأ

العسكرية والرغبة في تحقيق السلام وعدم الهيمنة، فإيران في مواجهة محتدمة مع دول عدة لأنها شرهة للتمدّد والسيطرة وتصدير مزاعمها حول الثورة.

وتركيا تسير على درب ذاته تقريبا ويواجه مشروعها عقبات وأخفقت في تثبيت مفاصله واتجهت للتراجع عن الكثير من ملامحه، ولا تزال إسرائيل تحافظ على صورتها الناصعة كدولة احتلال لا يمكنها التحرك لإخمد صراعات أو نزاعات، ولم تبرح مكانها، فهي في مقدمة الأسباب التي تغذي عليها التوترات في المنطقة.

فقدت مصر جزءا من قوتها الإقليمية المساندة بعد خروج العراق من المعادلة العربية، وزادت المعاناة مع اندلاع حرب طويلة في سوريا وليبيا وإنهاكها

الذي لم ينحرف والأزمة الليبية في أحلك الأيام قنامة حيث انتشار الميليشيات والمرتزة ودخول القوات التركية على الخط.

من الصعب أيضا إعادة رسم الخط الأحمر مع إثيوبيا دون امتلاك الجاهزية الكاملة التي تساعد مصر في الحفاظ على حصتها المعلنة من مياه النيل، وإجراء مناورات عسكرية متعددة مع السودان من "نسور النيل" إلى "حماة النيل"، وتوقيع اتفاقيات تعاون أمني مع غالبية الدول الأفريقية المحيطة بإثيوبيا، لذلك فالإصرار على التفاوض والتوصل إلى حل رضائي لم يفهم على أنه تعبير عن ضعف.

من يتابع التحركات الإقليمية المصرية يجدها تدور في فلك التأكيد على التسويات السياسية في التعامل مع جميع النزاعات والتوترات التي ترتبط بالأمن القومي المصري والعربي، أو حتى أمن واستقرار المنطقة والعالم، ولجات القاهرة إلى التشديد على ذلك من حسابات قوة، فقد استكملت بناء القوة العسكرية بصورة متقدمة، وعقب نجاحها في كسر احتكار تسليح جيشها وعدم قصره على جهة واحدة.

عندما تدخلت القاهرة في نزاع فتيل حرب غزة الأخيرة تلاشت التقديرات السلبية التي كانت تتحدث عن مخاوفها من اشتعال الصراع وهواجس امتداد شرارته إليها فتجد نفسها منوطرة فيه وغير مستعدة عسكريا، وجرى الكلام عن وساطة غرضها وقف الحرب وتخفيف الضغوط على كاهل المواطنين في قطاع غزة والأراضي المحتلة وتصويب مسارات القضية الفلسطينية ما يصب في صالح الأمن والاستقرار الإقليميين.

قوات القاهرة الخارطة المرتبجة في المنطقة ووجدت أمامها طريقين لا ثالث لهما، فإذا أن تستخدم فأفرض القوة العسكرية لديها لتكريس نفوذها ودورها، وإذا أن تستثمر ذلك كأداة للردع وتغليب الحلول السياسية.

كذلك من الصعب أن تحدّد خطا أحمر في ليبيا دون أن تمتلك قدرات تسليحية تمكنها من السيطرة على الميدان لمواجهة خصومها إذا اقتضت الضرورة، وفيه أن دعم حل الأزمة سياسيا يتسق مع الخطاب المصري

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

ليس هناك خطأ في العنوان ولا يحمل تلامعا بالكلمات، فهو يتسق مع مضمون مقال يرمي للحديث عن واحدة من الزوايا المهمة في تفسير العلاقة بين مضاعفة القوة العسكرية وامتلاك أحدث معداتها والحصول على تصنيف متقدم للجيش المصري، وبين الانخراط في تسويات سياسية حديثة في المنطقة.

لم يكن لمصر أن تقبل بالحديث عن تصفية الخلافات مع تركيا وهي في موقف ضعيف عسكريا، لأنها ستدخلها مكبلة والكلفة لن تميل لصالحها، وقد قبلت بالحوار من موقف قوة مركبة، ولم يكن لها لتخترق في مصالحة مع قطر وهي منهكة أمنيا وتواجه أشباحا من التنظيمات المتطرفة في سيناء أو غيرها.

القاهرة قرأت الخارطة المرتبجة في المنطقة ووجدت أمامها طريقين لا ثالث لهما، فإذا أن تستخدم فأفرض القوة العسكرية لديها لتكريس نفوذها ودورها، وإذا أن تستثمر ذلك كأداة للردع وتغليب الحلول السياسية

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

لعنة التناقضات ومفهوم «السيادة» في اليمن

من حدود عمان شرقا وحتى سواحل البحر الأحمر غربا. كما أن الدافع في الحالتين هو الاستلاب الفكري والارتهاق السياسي لتلك القوى والشخصيات التي حملت العداة لمصر عبدالناصر لأنها وقفت ضد جماعة الإخوان المسلمين في مصر وتجاهلت أن مصر عبدالناصر ذاتها هي التي قدمت الآلاف من الشهداء لإخراج اليمنيين من ظلام الإمامة إلى نور الجمهورية. وفي حالة العداة للتحالف العربي اليوم تبدو الأجندة السياسية والأيديولوجية حاضرة كذلك بقوة، فمن يناصبون العداة لدول التحالف التي تساند اليمنيين وتقاتل إلى جانبهم يفعلون ذلك خدمة لمشروع دولة خليجية (قطر) تساند الحوثيين أو تركيا التي تسعى إلى استخدام الملف اليمني في صراعاتها مع السعودية والإمارات.

والأعجب من ذلك كله أن تلك القيادات والشخصيات التي تشتهر لافقة "السيادة الوطنية" هي ذاتها التي تلوح بين الحين والآخر باستدعاء تركيا إلى الملعب اليمني، وهي ذاتها التي تتغنى بأمجاد الإحلال العثماني لليمن وتتمنى عودته بوصفه عودة للخلافة الإسلامية.

ولا يبدو أن الحوثيين في منأى عن لعنة التناقضات، حيث يعملون وفقا لذات المفاهيم المخادعة التي يسوقونها حول السيادة اليمنية في الوقت الذي يتجول فيه ضابط الحرس الثوري الإيراني حسن إيرلو في شوارع صنعاء بصفته حاكما ساميا لليمن، كما لم يعد خافيا استخدام طهران للحوثيين الذين وصفتهم ذات يوم بـ"شبيحة الشوارع" كورقة في صراعها الدولي وفي مفاوضاتها حول الاتفاق النووي.

وقد ضحى الحوثيون حتى بمصالحهم الاستراتيجية هم أنفسهم من أجل مصالح إيران، واختاروا تماشيا مع أجندة طهران التي سارعا إليها بعد أيام قليلة من انقلابهم على الدولة اليمنية وفتحوا لها مطارات اليمن وموانئه وذهبوا إليها زرافات ووحدا، رافعين شعار "هيت لك" بعد أن أغلقوا أبواب اليمن في وجه محيطه العربي، بينما كانوا يرفعون فيه شعارات التحرر من الوصاية.

ومن يتأمل جيدا في تفاصيل الادعاءات التي يروج لها حول أطماع التحالف العربي المزعومة في اليمن لن يجد لها أثرا حقيقيا وملموسا. فوجود قوات للتحالف في جزر البحر الأحمر أمر يندرج ضمن ترتيبات الحركة ضد الحوثيين الذين يصلون ويجولون بزوارقهم المخففة في طريق الملاحة الدولي، ويسيرون قوارب تهريب السلاح القادمة من إيران عبر ذات البحر، بل إن وجود قاعدة للتحالف في جزيرة ميون على سبيل المثال أمر أكثر منطقية من الناحية العسكرية من وجود قاعدة للتحالف في شبوة أو عدن.

كما أن محاولة تقييد التحالف عبر حملات إعلامية منظمة وممنهجة أمر يتعارض مع قاعدة المصالح المشتركة في العلاقات الدولية، على اعتبار أن اليمن في حال يسمح له بالتعامل بهذا الشكل في ظل حالة الصراع والتشظى، حيث أن السعودية مثلا باتت هدفا رئيسيا للهجمات الحوثية، وهو ما يمنحها المشروعية لاستخدام أراضي وجزر من أتت لساندهم للرد على الاعتداءات التي تتعرض لها.

ليصبح وطنيا لولا الدعم المصري الذي كلف القاهرة ثمنا باهظا. ومن يتابع تفاصيل هذه التناقضات في استدعاء الخارج تم الانقلاب عليه، لن يجد تفسيراً منطقيا لهذا السلوك السياسي الانتقامي الذي اتسمت به بعض النخب والقيادات السياسية اليمنية التي لا تجد قراءة معطيات الحاضر ولا تداعيات قراراتها أو أفعالها الموسومة في الغالب بالانفعالية وفي الأغلب بالبراغماتية السياسية القاتلة. ويتكرر اليوم بصورة أكثر حدة مشهد استحضار السيادة الغائبة لدى شخصيات وقوى يمنية باتت تقارن بين دور التحالف العربي في اليمن وبين التدخل الإيراني لصالح الحوثيين، بل إن الأمر تجاوز ذلك لاستحضار الدعم المصري لثورة 1962 اليمنية بوصفه عبئا، لم تنتصر ثورة سبتمبر اليمنية إلا بعد التخلص من آثاره، وهي مغالطة تاريخية يراد اليوم أن يتم تسويقها في الحركة التي تخوضها بعض الأطراف اليمنية المؤدلجة ضد الدول التي أتت لساندهم اليمنيون في معركتهم ضد المشروع الإيراني.

صالح البيضاوي
صحافي يمني

من داخل إحدى المجمعات السكنية في ضواحي مدينة إسطنبول التركية تعالت أصوات سياسيين وبرنامجيين يمينيين خلال الأيام الماضية لإعادة النظر في العلاقة بين "الشرعية" اليمنية والتحالف العربي لدعم الشرعية الذي تقوده السعودية. وترافق ذلك بطبيعة الحال مع موجة جديدة من الاتهامات المبطنة والصرحة للتحالف بانتهاك سيادة البلد الممزق الذي تقف نخبة السياسة على لعبة تغيير الكراسي والإصطفافات وبيع الولاءات الإقليمية وإشهار ورقة "السيادة" حيناً، والتلويح باستدعاء لاعبين جدد إلى الملعب اليمني أحيانا أخرى.

وحقيقة الأمر فإن ما يحدث اليوم في العلاقة التي تبدو ملتبسة بين تيار داخل الشرعية اليمنية يفترض أنه معاد للحوثي وبين دول التحالف العربي التي جاءت بطلب من الرئيس اليمني وشرعت وجودها عبر قرارات مجلس الأمن الدولي، ليس أمرا جديدا في التاريخ اليمني بل يكاد يكون ظاهرة تستوجب دراستها بشكل عميق ومكثف موضوعي.

فهناك تاريخ طويل من الاستقواء بالخارج في سجل الصراعات اليمنية ومن ثم اتهام هذا الخارج الذي تم جلبه إلى حلبة الصراع الداخلي بأنه ينتهك السيادة ويفرض وصايته على القرار الداخلي. وربما تعود أول حادثة مسجلة من هذا النوع للملك اليمني الشهير سيف بن ذي يزن الذي استعان بالفرس لطرده الأحماس من اليمن، قبل أن يدرك لاحقا أنه سلم اليمن لسيطرة الفرس ليقول قولته الشهيرة "استبدلنا أسيادا بأسبادا".

وفي ستينات القرن الماضي تركز المشهد مجددا، حيث التمس الضباط الأحرار الذين قادوا الثورة على النظام الإمامي في شمال اليمن بالرئيس المصري جمال عبدالناصر الذي أرسل جيشه للقتال في جبال اليمن الوعرة لساندة الثورة. غير أن قسما من الذين طالبوا مصر بالتدخل راوا في وقت لاحق أنها تفرض وصايتها عليهم، وأنها تصادر قراهم الوطني الذي لم يكن له



صالح البيضاوي